بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية

لسنة ٢٠١٩ - ٢٥٤٨

الغَيبة

مفهومها، أسبابها، مسؤولياتها

سيّد شبيب مهدي الخرسان

الإهداء

إلى / صاحب الطّلعة البهية

إلى / قائد القيام المهدوي

إلى / ناشر راية الإسلام

والعدل الإلهي في الكرة الارضية

الإمام المهدي الحجة المنتظر.

المقدّمة

الحمد لله الّذي علا فتعالى، وبعد فلا يرى وقرب فشهد النَّجوى وسع كرسيه السَّماوات والأرض رؤوف ودود شكور غفور..... وصلّى الله على عبده المصطفى محمد صلّى الله عليه وأله الذي قرب من العليّ الأعلى، فكان قاب قوسين أو أدنى والّذي حمل على البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعلى أله المعصومين الأطهار الّذين جعلهم الله نورًا للعباد وهدى تحصنهم من الضّلال.

أمّا بعدُ.

إنَّ قضية الغَيبة للإمام الثّاني عشر المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ليست غريبة وليست هي بدعة، ولا قصة يشوبها الوهم والخيال، إنَّما هي قضية حقيقية أخبرنا بها الصَّادق الأمين وخاتم أنبياء ربِّ العالمين محمد صلّى الله عليه وأله والأئمة المعصومون عليهم السَّلام وسردها لنا التَّأريخ قال رسول الله صلّى الله عليه وأله: «**المهدي من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه النَّاس بي خلقًا وخلقًا تكون به غَيبة وحيدة تضل فيها الأمم، ثمَّ يقبل كالشَّهاب الثاقب يملأها عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا**»(١)

(١) الشَّيخ الصَّدوق، كمال الدّين: ١ / ٢٧١ ت٢٥ / ح١.

ثمَّ أنَّها من السّنن الإلهيَّة الّتي أرادها الله أن تجري عليه كما جرت على الأنبياء والأولياء الصَّالحين كموسى وعيسى وإبراهيم والخضر وغيرهم، فأصل الغَيبة موجودة في الأمم السَّابقة والمصلحين ليتسنى لهم الأمر والعمل بحرية اوسع بدون مراقبة ولا متابعة والإفلات من أيدي الظّالمين وسلاطين الجور من الإمساك بهم، ثمَّ قتلهم أو زجّهم في السَّجون، فينتفي الغرض الّذي بعثوا من أجله ولم يحققوا الهدف الّذي وكّل إليهم قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾(١).

يتألف هذا الكتاب من تمهيد وثلاثة مواضيع رئيسية، تكلمنا في التَّمهيد عن غَيبة الأنبياء والأوصياء والمصاعب والفتن التي مرت عليهم، ثمَّ تكلمنا في الموضوع الأول عن معنى الغَيبة ومميزاتها، وفي الموضوع الثّاني عن أسبابها، وفي الثّالث عن المسؤولية التي تقع على عاتقنا في زمن الغَيبة، وماهي وظيفتنا ازاء الفتن التي تمرّ علينا والشّبهات الّتي تطرح وكيف نردها ؟ وما هو الهدف من وراءها؟

سيّد شبيب مهدي الخرسان

٢٧ صفر الخير ١٤٣٩ هـ

١٧/ ١١/ ٢٠١٧م

---

(١) الأحزاب: ٦٢.

تمهيد

إن الغَيبة من السّنن الإلهيَّة الّتي جرت على الأنبياء والأولياء الصَّالحين وعلى الأمم والأقوام السَّابقين، وهي تجري في أمة محمد صلّى الله عليه وأله، بل جرت على خاتم الأنبياء وأوصياءه عليهم السَّلام، وكان المصداق الواضح للغيبة في هذا الزَّمان الإمام الثّاني عشر المهدي المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف بعد غيبته الصغرى والكبرى والتي بدأت بعد وفاة والده سنة ٢٦٠ هـ ومستمرة لحد الآن والتي نحن نعيش مرارتها وننتظر ظهوره المبارك الّذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا قال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾(١) فسنته تعالى تكرر في الرّسل والمصلحين والمنقذين مادام هناك نظام قوى الشَّر والظَّلم مقابل قوى الإصلاح الإلهي، فينبغي أن نقف عند محطات الرّسل والأنبياء والأولياء ونتخذ منها العبر والدّروس؛ لأنَّها محطات معرفية اعتقادية، فالله سبحانه وتعالى عندما يقّص علينا القصص ويذكرها في كتابه العزيز يريد من ذلك أن نتعظ ونعتبر ونتخذها جسرًا نعبر عليه ونسير إلى الجهة الأخرى أو المرحلة الأخرى قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾(٢) فمثلا نبي الله موسى عليه السلام منذ ولادته وماجرى

---

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) يوسف: ١١١.

عليه والغيبة الاولى والثانية الى رجوعه الى قومه بعد هذه الفترة من الغيبة الملازمة للانتظار من الجانبين من جانب نبي الله ومن جانب قومه، وهذا نظير وشبيه ما ورد في مدرسة اهل البيت في امامها الثاني عشر من خفاء الولادة والغيبة الاولى والثانية، فالامور التي جرت على نبي الله موسى عليه السلام تجري على امة محمد صلى الله عليه وآله وهي ليست مختصة بالنبي موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[(٢)] وعن الحسين عليه السَّلام قال: (في القائم منا سنن من الأنبياء، سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى وسنة من أيوب، وسنة من محمد صلّى الله عليه وأله....)[(٣)]

الانتظار: يعني التَّوقع والأمل والحركة وهل وراء التَّوقع إلّا العمل؟ فالإنسان الّذي يتوقع أمرًا ما سواء خيرًا أو شرًا فعليه أن يعمل ويتحرك للإكثار منه إذا كان خيرًا ويدفعه إذا كان شرًا، فالأمل يبعث الطّاقة الكامنة عند الإنسان ويقوي الإرادة الّتي أصابها الضعف نتيجة ما جرى عليها

(١) الأحزاب: ٦٢.

(٢) غافر: ٨٥.

(٣) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٢.

من أحداث ونكسات، فيجعل النَّفس مستعدة لما يجري عليها، مقاومة صابرة للابتلاءات والامتحانات متخذة الدّروس والعبر فيما جرى على من قبلها من الأمم والانبياء والرسل السابقين، فإذا كانت كذلك، فتصبح الإرادة عندها قوية ولديها العزم الّذي يعطي النَّفس الاستعداد والقابلية في مواجهة التَّيارات المنحرفة والأمواج العاتية، واذا بها تخرج من هذه المرحلة – مرحلة الانتظار – بنجاح وفلاح في الدنيا والآخرة.

إذن مرحلة الانتظار مرحلة حركيَّة يكون العمل فيها دؤوبًا وهي مرحلة اختبار وامتحان فعلى كل فرد ينتبه فيما هو فيه وماذا يعمل في هذه المرحلة؟ وهل يخرج ناجحًا أم فاشلًا في هذا الامتحان وأي امتحان، فإذا فات الأمر لا يرجع أبدًا ولا ينتظر أحدًا قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[(١)]

فالإيمان خاضع للاختبار وبسلوب عملي، فهو عمل بالأركان وليس لقلة لسان، عن أبي عمر الزبيدي، عن أبي عبد الله عليه السَّلام: «... **قلت: أَلَا تخبرني عن الإيمان أقول هو عمل أم قول بلا عمل؟ قال: الإيمان عمل كلّه**»[(٢)]

---

(١) العنكبوت: ٢.

(٢) الحر العاملي، الفصول المهمة في اصول الائمة: ١ / ٤٢٩

جاء في زيارة الجامعة المنقولة عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السَّلام «**منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم**»

في عصر الغَيبة يكون الإنسان منتظرًا لإمام زمانه ويصاحب هذا الانتظار العمل والتهيؤ والتَّحرك وصقل النَّفس، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر حتى يكون مشاركًا ومساهمًا في تهيأة الظّروف الملائمة لظهور الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ويكون مؤيدًا وناصرًا له عند ظهوره المبارك، فالإنسان في مرحلة الانتظار ينقي نفسه من الذّنوب بالاستغفار وغيره ويتقرب من السَّاحة الإلهيَّة من خلال التَّقوى والورع والعمل بالواجبات وترك المحرمات هذا من جهة، ومن جهة أخرى يكون مهيأ نفسه فيما بعد هذه المرحلة وهي مرحلة الظهور بحيث يكون مستعدًا نفسيًا وروحيًا ودينيًا للدفاع عن الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ونصرته والقتال بين يديه حتَّى يكون مفلحًا ومنجحًا قد خرج من هذه المرحلة بوجه أبيض كما يقول البعض يعني خرج منها عاملًا مستبصرًا وفائزًا وأي فوز رضوان من الله وجنات تجري من تحتها الأنهار، قال الرّسول صلّى الله عليه وأله: «**أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عَزَّ وَجَلَّ**»[١]،وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال الرَّضا عليه السَّلام: ما أحسن الصَّبر وانتظار

(١) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢ / ٥٨٤/ ت٥٥ / ح٣

الفرج أما سمعت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[(٢)]، فعليكم بالصبر فإنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم اصبر منكم)[(٣)]

وقال عليه السَّلام (مرتقب لدولتكم)

ورقبته حفظته والرقيب الحافظ وذلك أما لمراعاة رقبة المحفوظ وأما لرفعة رقبته قال تعالى ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ والمرقب المكان العالي الذي يشرق عليه الرقيب.[(٤)]

فالذي يريد أن يرتقب الدَّولة المهدويَّة المباركة لابد وأن يكون حركيًا عاملًا بحكم كونه مرتقبًا، فهذه الكلمة تتلائم مع العمل الدَّؤوب والتَّرصد الحركي الذي يراقب المكان بدقة وبصورة مستمرة وبحركات مختلفة وانتقال من مكان الى آخر حسب متطلبات الظروف، فهو في دوامة واستمرار في العمل التَّرقبي للحفاظ على الدَّولة المهدويَّة العادلة.

---

(١) تمام الآية في سورة هود: ٩٣ «يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ»

(٢) الأعراف: ٤١.

(٣) الحرّ العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١ / ٤٢٩.

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات: ٢٠٨ (مادة رقب).

إمام الهدى حتَّى متى أنت غائب فـمـن عـلـيـنـا يـا أبـانـا بـأوبـة
تراءت لنا رايات جيشك قادما ففاحت لنا منها روائح مسكة
وبشرت الدّنيا بذلك فاغتدت مباسمها مفترة عن مسرة
مللنا وطال الانتظار فجد لنا بربك ياقطب الوجود بُلقْيَةٍ

هذه الأبيات للشاعر عامر البصري من الشّعراء الذين آمنوا بالإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وحتمية ظهوره.[١]

الغَيبة مفهومها

الغيبة: من الغيبوبة تقول: وقعنا في غيبة وغيابة أي هبطة من الأرض والغيب كلّ ماغاب عنك وفي قوله تعالى «يؤمنون بالغيب» أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النَّبي صلّى الله عليه وأله من أمر البعث والجنَّة والنَّار، وغاب الرَّجل: سافر أو بان[٢]

وغيبة الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف غيبة ظهور لا غيبة حضور ووجود فلولاه لساخت الأرض باهلها قال رسول الله صلّى الله

(١) الشَّيخ باقر القرشي، حياة الإمام المهدي(عليه السلام): ٢٣٠.
(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج١٠ ص١٤٣ مادة (غيب)

عليه وأله: «....**وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها**»[١] وهذا الحديث يدل على وجوده المبارك بين أيدينا وبه يحفظ الأرض أن تخسف بنا أو تتحرك وتضطرب، فتحدث الهزّات الأرضية وما يصاحبها من دمار وخراب واضطراب في الاوضاع العامة وهلاك وموت في الأرواح والأنفس، وما يحدث اليوم في دول العالم أكبر شاهد على سرعة وكثرة الدَّمار الّذي حلّ بالمناطق التي أصابها اعصار أو هزات أرضية أو فيضانات، بفضل وجود الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف حفظ ما حفظ وبقي ما بقي ولولاه لانتشر الظّلم أكثر ممَّا نحن فيه حتَّى وصل إلى ذروته، وكذلك الفساد والطغيان حتَّى لم يبقِ الظَّالمون أحدًا من المؤمنين يتنفس الصّعداء، ذكر صاحب الاحتجاج كتابًا ورد من النَّاحية المقدسة في أيام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة على الشَّيخ المفيد: « إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء[٢] أو اصطلمكم الأعداء...»[٣] وغيبة الإمَّام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ليست هي الوحيدة بل كانت قبلها عدة غيبات لانبياء واولياء صالحين كموسى، عيسى، نوح، يوسف،

(١) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ج١ ص٢٤٦ ت٢٤ ح٢
(٢) اللأواء: الشّدة وضيق المعيشة، وأصطلمه: استأصله،
(٣) الشَّيخ الطَّبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٣٢٣.

وغيرهم مما جرت عليهم هذه السنة الالهية التي ارادها الله ان تكرر في الامام الثاني عشر من ائمة اهل البيت عليهم السلام والتي جرت عليه والآن نحن نعيش بفيض وجوده المبارك وخيراته وبركاته، فالأئمة عليهم السَّلام العلة الغائيَّة لإيجاد الخلق، بهم تكشف البلايا، وبهم ينزل الغيث، قال النَّبي صلّى الله عليه وأله: « **ياعلي لولا نحن ماخلق الله آدم ولا حواء ولا الجنَّة ولا النَّار، ولا السَّماء ولا الأرض**»[١] والقرآن الكريم يسرد لنا الآيات المباركة على وجود الأنبياء والأوصياء بأنهم أمان لأهل الأرض ونفس وجودهم يمنع من نزول العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢] قال صاحب تفسير الأمثل: (إنَّ وجودك يا رسول الله، الّذي هو رحمة للعالمين، يمنع من نزول البلاء بسبب هذه الذّنوب)[٣]

وقال رسول الله صلّى الله عليه وأله: «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**»[٤] إذن الأنبياء والأوصياء هم أمان وحصن لأهل الأرض وتحميهم من الحوادث المؤلمة كالسَّيل والحروب

(١) الشَّيخ الصَّدوق، علل الشرَّائع: ١ / ٥.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) الشَّيخ مكارم الشَّيرازي، الأمثل: ٥ / ٤١٥-٤١٦.

(٤) ذخائر العقبة: ١٧، كنز العمال: ٦ / ١١٦.

المدمرة وغيرها هذا من جهة، ومن جهة أخرى الاستغفار ينفع في المقام، ورد عن أمير المؤمنين عليه السَّلام في دعاء كميل بن زياد: « **اللّهمَّ اغفر لي الذّنوب التي تنزل البلاء** » فهذا الكلام يدل على أن لولا الدَّعاء والاستغفار فأن كثير من آثار الذّنوب قد تكون شيئًا من البلاء والكوارث.

مميزات الغَيبة

١- تمتاز الغيبة بأن الابتعاد فيها لا يكون ابتعادًا جغرافيًا أو بدنيًا إنَّما هو عبارة عن اختفاء في المعرفة واختفاء في علم البشر وادراكهم واختفاء في الشعور، وهذا معنى القول بأن غيبة الإمام الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف غيبة ظهور لا غيبة وجود فهو موجود حاضر يراعينا وينظر إلينا، بل تعرض أعمالنا عليه ان كانت حسنة يفرح بها ويسعد، وان كانت سيئة تحزنه وتؤلمه، فهو في مركز الحدث ويراقب الأحداث بكثب، ويحفظ لنا الأرض أن تميد بنا، عن كميل بن زياد قال: قال أمير المؤمنين عليه السَّلام في كلام طويل: «**اللّهمَّ إنَّك لا تخلي الأرض من قائم بحجة أما ظاهر أو غائب مغمور لئلا تبطل حجتك وبيناتك**»[١] وغائب مغمور يعني مخفي غير ظاهر وليس بمشهور، فهو موجود حاضر لكنَّه غير ظاهر

(١) كمال الدين: ١ / ٢٧٩ ت٢٦ / ح٢.

لا يراه أحد أو يراه ولا يعرفه، عن أحمد بن اسحاق عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السَّلام « **إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم السَّاعة من حجة الله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه تخرج بركات الأرض**»[١] وحديث الثّقلين المسلَم بين الفريقين يدل على وجود الحجة المنتظر لأنَّه عدل القران والعترة والقرآن لن يفترقا، والقرآن الآن موجود وبين أيدينا فلا بد من وجود الحجة الذي هو الامام الثاني عشر المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف حتَّى تتم كلمة (لن يفترقا) الصَّادرة من الصَّادق الأمين.

٢- إنَّ الدَّاء أو المرض أو الانحراف الّذي يصيب الأمة في فترة الغَيبة يكون العلاج مباشرة ومن الدّاخل وبشكل عمقي؛ لأنَّ الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشّريف موجود حاضر مسدد موجه، فنفس وجوده المبارك ينزل البركات ويدفع البلاءات ويسدد الخطوات، والعلاج من الداخل أفضل من العلاج من الخارج: لأنَّ العلاج الدّاخلي يكون بنويًا أساسيًا جذريًا وفيه دوام وثبوت بخلافه الخارجي الذي يكون مسكنًا وليس فيه صفة الدّوام والتّثبت وسرعان ما يزول ويحصل الارتداد والانقلاب كما ينقل الينا القران الكريم في قوله تعالى ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

(١) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٦.

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١] بعد وفاة النَّبي صلّى الله عليه وأله وفي سقيفة بني ساعدة انقلبت الزّمرة المخالفة لنبيّها على أعقابها ولم تلتزم بوصايا النَّبي صلّى الله عليه وأله؛ لأنَّ الإيمان لم يدخل قلوبهم، فكان اسلامهم ظاهريًا خارجيًا ولذا نجدهم سرعان ما ارتدوا فعملوا عملهم الشَّنيع ولحد الآن الأمة تأن منه ومن آثاره المنحرفة والمدمرة، فيجب أن تكون العلاجات كلّها جذرية وفي جميع المجالات حتَّى تقلع المشاكل من جذورها ولم يبقَ لها أثر، لا أن تكون العلاجات آنية ترقيعية، وبالتّالي ربما تكون النّتيجة أضخم وأكبر ممَّا كانت عليه فيحصل الانقلاب والتردد بصورة سريعة ومفاجئة.

٣- ظاهرة ابطاء الوعد الإلهي لانجاز الاصلاح جارية على غيبة الإمام المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف كما جرت من قبل على الأنبياء والأوصياء والمصلحين، فهذا نبي الله نوح عليه السَّلام كانت مدة تبليغه لإصلاح قومه (٩٥٠) عام، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[٢] إنَّ غيبة

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) العنكبوت: ١٤.

الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ستجري كما هو مخطط لها وان طالت المدة، فهو منذ عام ٢٦٠ هـ ولحد الآن مستمر في غيبته وإلى أن يأذن الله له بالظّهور وتكون الأجواء مناسبة والأرض خصبة، شاءت حكمة الله أن تكون الغَيبة بهذا الشَّكل التَّدريجي البطيء، وبهذه المدة الطّويلة، فهي غير خاضعة لقانون «كن فيكون» نعم، لو أراد لفعل لكن هي سنة الله أراد أن يجريها على المصلحين والمنقذين قال تعالى ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[١] وأهل البيت عليهم السَّلام ذكروا قضية الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وأنَّه يمر بغيبة طويلة يمتحن فيها النَّاس، فأما أن يفلحوا بتخطيهم هذه المرحلة بنجاح، وذلك باثباتهم على ولايته ونصره، وأمَّا أن يفشلوا في هذا الامتحان فيرتدوا وتكون عاقبتهم الخسران والذّل والهوان في الدّنيا والآخرة، قال الإمام موسى بن جعفر عليه السَّلام: «**ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله، ويملأها عدلًا كما ملئت جورًا، وهو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها خوفًا على نفسه ويرتد فيها قوم ويثبت فيها آخرون**»[٢]

٤- ان مرحلة الغيبة هي مرحلة اعداد وتنظيم وعمل دؤوب للتهيؤ

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٤ المطبعة العلمية قم ١٣٨١ هـ.

لمرحلة أخرى في الإصلاح الجذري الشَّامل والإصلاح الكبير المدوي في الكرة الارضية، وكان نبي الله نوح عليه السَّلام المصلح الكبير بعد هذه الفترة الطّويلة من التَّبليغ والإصلاح قام بالعمل الجبار والبناء الشّامخ من العمران والإصلاح فأنشأ بعد الطّوفان المجتمعات والبلدان، عن الإمام الصَّادق عليه السَّلام: «عاش نوح عليه السَّلام ألفي سنة وثلاثمائة سنة، منها ثلثمائة وخمسين سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلّا خمسين عامًا وهو في قومه يدعوهم، وخمسمائة عام بعدها نزل من السَّفينة ونصب الماء، فمصر الامصار واسكن ولده البلدان...»[(١)]

إذن العمل الذي قام به نوح عليه السَّلام هو عمل عظيم وكبير، فقضى هذه المدة الطّويلة للتهيأ والاستعداد، فعمران البلدان وبناء المجتمعات ليس بالشَّيء الهيّن، فهو يحتاج إلى جهد ووقت للتهيأ والتَّدريب وصقل النَّفس، ويحتاج إلى فكر وتخطيط وطاقة وقابلية نعم، الوقت الذي استغرقه نبي الله نوح عليه السَّلام طويل لكن كانت المهمة كبرى والامانة ثقيلة فكانت المدة متناسبة طرديًا مع النَّتيجة، فكذلك مهمة الإمام الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشّريف عظيمة وكبرى اعتبارًا من نشر العدل إلى الأمن والأمان وتوفر العيش الرّغيد، فهي متناسبة مع غيبته الطّويلة والتهيؤ فيها

---

(١) الشَّيخ الكليني، الكافي: ٨ / ٢٨٤-٢٨٥ / ح٣٢٩.

لتحقيق الهدف والغاية، عن علي بن عقبة عن الإمام الصَّادق عليه السَّلام قال:«إذا قام القائم عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور.... ولم يبق أهل دين حتَّى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان أما سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(١) وحكم في النَّاس بحكم داود وبحكم محمد صلّى الله عليه وأله (٢) هذه الأحكام تتحقق في الدَّولة الإلهيَّة المهدويَّة، وهذه مهمة صعبة يشهد بها الحكام والملوك ومن مرَّ في هذه المرحلة الرئاسيَّة والحكومة الدّنيوية حيث تتعقب النَّاس على الحكومة والرئاسة الدنيويَّة طيلة فترة غياب الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وقبل هذه الفترة، ولم يحققوا العدل، ولذا لو ظهر الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشريف ونشر العدل في الدَّولة المباركة لم تكن حجة للآخرين بان يقولوا لو حكمنا لعدلنا، قال ابو عبد الله عليه السَّلام: «إنَّ دولتنا آخر الدول ولم يبقَ أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأو سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿والعاقبة للمتقين﴾ (٣) عن الإمام الصَّادق عليه السَّلام قال: « **إذا قام**

(١) آل عمران: ٨٣.

(٢) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٤٦٣.

(٣) كشف الغمة: ٢ / ٤٦٥-٤٦٦.

القائم عليه السَّلام حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور، وآمنت به السّبل، وأخرجت الأرض بركاتها وردّ كلّ حق إلى أهله»[(١)]

هذه الأمور كلّها تحدث في مرحلة الظّهور، لكن لابد وان يكون لها تهيأ وعمل وصقل للنفس واختبار وامتحان حتَّى يكون الإنسان أمَّا مؤمنًا قد دخل الإيمان في قلبه أو مرتدًا خرج من الدّنيا خاسرًا وهذا يتم في مرحلة الغيبة والانتظار، فهي التي تقرر المصير.

٥- إنَّ الغَيبة مِنَّة إلهيَّة جارية في أنبيائه وأوليائه والمصلحين من عباده، وهي كذلك في الإمام الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ففيها حالة مناورة، وحالة تدبير، وحال الأفول، ثمَّ الطَّلوع، لكن بسلوب خاص وبآلات وأدوات اصلاحية يتحرك بها، فهو الإمام المعصوم وعدل القرآن بآية التّطهير وبحديث الثَّقلين ومن أهل البيت عليهم السَّلام الذين زقوا العلم زقا «**وخزان العلم ومنتهى الحلم**»[(٢)] قال النَّبي صلىّ الله عليه وأله «**... قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم**»[(٣)] إذن الغَيبة

(١) العاملي، أعيان الشَّيعة: ٢ / ٨٣.

(٢) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، الزّيارة الجامعة: ٥٧٠.

(٣) العاملي، أعيان الشّيعة: ١ / ٤٢٢.

تختلف عن غيرها في تحركها واسلوبها برامجها وطرقها وآلاتها، بل حتَّى في قائدها والإمكانيات التي زود بها والقابليات التي يمتلكها، قال الإمام الحجة المنتظر في احدى رسائله للشيخ المفيد « **إنَّا غير مهملين لمراعاتكم، ولاناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم الإواء، واصطلمكم الأعداء**»[١]

ثمَّ أنَّ الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف قد صرح عن وجه الفائدة من غيابه عن الأبصار حيث قال: « **واما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشّمس إذا غيّبها عن الأبصار السَّحاب**»[٢]

أسباب الغيبة

لكلّ حادثة حديث، ولكلّ واقعة لها أسبابها ومسوغاتها وغيبة الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف لها أسبابها منها:

١- غاب الإمام عليه السَّلام خوفًا على نفسه:

إن صفة الخوف عند الأنبياء والمصلحين ليس خوفًا على نفسه أو شخصه إنَّما كان خوفًا على عدم اتمام رسالته والهدف الذي بعث من أجله

---

(١) الشّيخ الطّبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٥٩٦.
(٢) الشَّيخ الطّبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٥٤٢.

والأمانة التي يحملها، فالنَّبي أو الرَّسول أو الإمام عليه السَّلام يحملون رسالة من ربّ العالمين هدفها الإصلاح وبيان الأحكام الإلهيَّة وهداية النَّاس إلى الطّريق المستقيم، فالخوف عند نبي الله موسى عليه السلام كما يقص لنا القران ذلك، هو ليس خوفًا شخصيًا على نفسه، بل هو خوفًا على الهدف أو عدم اكمال المسيرة والرَّسالة التي بعث من أجلها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾(١)

يقول صاحب تفسير الأمثل: (هذه العبارة تدل بوضوح على أنَّ موسى عليه السَّلام كان في نيته الاصلاح من قبل، سواء في قصر فرعون أو خارجه، ونقرأ في بعض الرَّوايات أنَّ موسى عليه السَّلام كان له مشادات كلاميّة مع فرعون في هذا الصَّدد لذا فإن القبطي يقول لموسى: أنت كلّ يوم تريد أن تقتل إنسانًا، فأي اصلاح هذا الذي تريده أنت؟...)(٢)

قال تعالى: ﴿فأصبح في المدينة خائفًا يترقب....﴾(٣)

(١) القصص: ١٩

(٢) الشَّيخ ناصر مكارم الشّيرازي، تفسير الأمثل: ١٢ / ٢٠٥.

(٣) القصص: ١٨.

إذن خوف موسى عليه السَّلام لأجل عدم اكمال الإصلاح الّذي أرسل من أجله وهو عبارة عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الّذي كان يفعله موسى عليه السَّلام في البلاط الفرعوني وداخل قصره المشئوم هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ الخوف سِنَة إلهيَّة جعلها الله أن تسري على خلفائه وأوليائه، فهذه أم موسى عليها السَّلام يقول عنها الباري عَزّ وَجَلَّ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾(١) وكذلك نبي الله يوسف عليه السَّلام وما فعل به اخوته فقذفوه في اليمّ ومايحيط به من رعب وخوف، فكان خائفًا يمرّ بحالة صعبة في غيابة الجب وظلمته ووحشته ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ...﴾(٢) وأبوه كان خائفًا أيضًا أي مرَّ بمرحلة الخوف يقول تعالى على لسان يعقوب عليه السَّلام: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾(٣) ونبيّ الله يونس مرَّ بهذه المرحلة وهو في بطن الحوت وما تحيط به من ظلمات (البحر والحوت والليل) ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)

---

(١) القصص: ٧.

(٢) يوسف: ١٠.

(٣) يوسف: ١٣.

(٤) الأنبياء: ٨٧ و ٨٨.

وكذلك نبيّنا محمد صلّى الله عليه وأله مرَّت عليه هذه السّنَّة الإلهيَّة حينما خرج من بيته في مكة المكرمة تاركًا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام على فراشه، والأعداء يحيطون به من كلّ جانب وأيديهم على اغمده سيوفهم ينتظرون ساعة الصّفر وإذا به يخرج ولم يره أحد برعاية الله وحفظه إلى أن وصل إلى الغار الذي أختفى فيه وهو غار حراء وبطبيعة الحال المسافة التي قطعها النَّبي تحيط بها جملة من الأهوال والمخاطر تجعل النَّبي صلّى الله عليه وأله خائفًا بالخوف الإيجابي الّذي هو عبارة عن الخوف من عدم اكمال المسيرة وعدم الوصول الى الهدف وتحقيق الغاية ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[١] وحتى العلماء مروا بهذه المرحلة كما ينقل لنا الإمام الصَّادق عليه السَّلام يقول: «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدّنيا) يقول الشيخ المجلسي في بحاره: يقال سخي عن الشيء يسخى من باب تعب أو ترك، ويدل على أنَّ الخوف لازم لمعرفته كما قال الله تعالى: "انما يخشى الله من عباده العلماء" وذلك من عرف عظمته وغلبته على جميع الأشياء وقدرته على جميع الممكنات بالإيجاد والإفناء خاف منه، وأيضًا من علم احتياجه إليه في وجوده، وبقاءه وسائر كمالاته في جميع أحواله خاف

(١) التَّوبة: ٤٠.

سلب ذلك منه[١]

إذن الخوف سِنة إلهيَّة أجراها الله على أنبياءه وأوليائه السَّابقين وجرت على الأئمة عليهم السَّلام وعلى الإمام الثّاني عشر المهدي المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف الّذي نحن بأنتظاره ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا، عن الإمام الحسين عليه السَّلام قال: «**في القائم منَّا سنن من الأنبياء، سنة من نوح، وسنة من إبراهيم وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد صلّى الله عليه وأله فأما من نوح طول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال النَّاس، وأما من موسى فالخوف والغيبة وأما من عيسى فاختلاف النَّاس فيه وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد صلّى الله عليه وأله فالخروج بالسّيف** »[٢]

وعن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السَّلام: «... **له غيبة يطول أمدها خوفًا على نفسه ويرتد فيها قوم ويثبت فيها آخرون**»[٣]

---

(١) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار: ٦٧ / ٣٤٤.

(٢) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٢ المطبعة العلمية قم سنة ١٣٨١ هـ

(٣) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٤ المطبعة العلمية قم سنة ١٣٨١ هـ

ثمرة الخوف

ينقل لنا حفص المؤمن رواية عن أبي عبد الله عليه السَّلام أنَّه قال فيما كتبه لأصحابه (وما العلم بالله والعمل إلّا الفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، وحثه الخوف على العمل بطاعة الله، وأنَّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله، فعملوا له ورغبوا إليه وقد قال الله ﴿إنَّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[(١)]

الخوف يأتي من المعرفة والعلم واذا حصلت حالة الخوف عند الإنسان ستجره إلى العمل بما يرضي الله ويتجنب كلّ ما يعصيه. إذن المهم العمل وهو يحصل بالخوف، فينبغي أن نحصّله ونداوم عليه حتَّى يتحول عندنا إلى ملكة لا تفارقنا قال المازندراني (وسبب الخوف من الله معرفته، ومعرفة جلاله وعظمته.....)[(٢)]

هذا بالنَّسبة للعلماء والمؤمنين الّذين يخافون الله وأما بالنَّسبة للأنبياء والمرسلين، فكانت النَّتيجة الإصلاح في أممهم بأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر التي كانت تتميّز بصداها البعيد وبآثارها العمليَّة في

---

(١) مستدرك الوسائل: ١١ / ٢٣٣.

(٢) شرح اصول الكافي ج٨ / ٢٠٥-٢٠٦

الابتعاد عن الانحراف والرّذيلة وكلّ مايؤدي إلى ابعاد الفرد المسلم عن عقيدته وشريعته وأمته الّتي جعلها الله خير الأمم قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١)

عن الحسن بن أبي سارة: قال سمعت أبا عبد الله يقول: «**لا يكون المؤمن مؤمنًا حتَّى يكون خائفًا راجيًا ولا يكون خائفًا راجيًا حتَّى يكون عاملًا لما يخاف ويرجو**»(٢)

وقال رسول الله صلّى الله عليه وأله: «**من كان بالله أعرف كان من الله أخوف**»(٣)

وقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: «**غاية العلم الخوف من الله سبحانه**»(٤) كلّما كان العلم والمعرفة بالله تعالى أكثر وأعمق كلّما كان الخوف أشد وأقوى، فالعلاقة بين العلم والخوف طردية، كلّما أزداد العلم أزداد الخوف وبطبيعة الحال العلم المصحوب بالتَّقوى والورع، أما إذا كان العلم مستقلًا، فيكون

---

(١) آل عمران ١١٠

(٢) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٧١.

(٣) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار: ٦٧ / ٣٩٣.

(٤) غرر الحكم: ٦٣٩٥.

مضرًا أكثر ممّا يكون نافعًا كالذي صنع القنبلة الهيدروجينية التي القيت على هوري شيما اليابانية فأهلكت النسل والحرث فكانت النتيجة وخيمة، أما الخوف الَّذي ينتج الاصلاح ويخرج جيلًا من الصّلحاء والمؤمنين وينشر العدل والأخوة في المجتمع، ويتطلع نحو الحرية والأمن والرَّفاهيَّة لهو خوف إيجابي يستطيع الإنسان أن يضحي من أجله ليرسم الصّورة المشرقة للأجيال القادمة.

٢- التَّقية

بمعنى أنَّ الإمام عليه السَّلام يعمل بسريَّة تامة وبخفاء عن النَّاس بعد الغَيبة الكبرى؛ لأنَّ الزمرة العباسية الحاكمة لا تتورع عن قتله وطالبته أكثر من مرة بعد سماعها بخروج المصلح العالمي من نسل الإمام العسكري عليه السَّلام، ولهذا أرسل على الإمامين العسكريين من مدينة جدّهما إلى مدينة سر من رأى واسكنهما في هذه المدينة العسكريَّة ليشدد الرَّقابة عليهما، ويرصد الدّاخل عليهما والخارج منهما، وهذا العمل الخفائي السّري للإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ليس بغريب، ولا هو أول شخص جرت عليه هذه الظاهرة، فهي جرت على أنبياء ومصلحين ومنقذين من قبله كنبيّ الله موسى ويوسف ويعقوب وغيرهم فنبي الله موسى عليه السَّلام أختفى عن

قومه أكثر من مرة وكان عمله سري خفي؛ لأنَّ فرعون يطلبه وإذا عثر عليه أفتك به، وموسى عليه السَّلام يريد أن يكمل المسيرة النَّبوية المكلف بها، ويصل إلى الهدف المرسوم إليه، فالغَيبة الأولى كانت كما يقص علينا القرآن ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(١) والثانية بدأت ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٢) والغيبة الثّالثة ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(٣) إلى أن وصل إلى نبي الله شعيب عليه السَّلام واتصل به وجرى ما جرى كما يقص القرآن: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا...﴾(٤)

والتَّقية الابتعاد ظاهرًا عن السَّاحة للعمل والتَّحرك بحرية أكثر وبمساحة أوسع وبأمنية أكثر دقة، فالإمام عليه السَّلام حاضر شخصًا ووجودًا وغائبًا ظهورًا، فغيبته عليه السَّلام غيبة ظهور لا غيبة وجود، ولقد استدل على مشروعية التقية بالآيات الكريمة

---

(١) القصص: ٢٠.

(٢) القصص: ٢١.

(٣) القصص: ٢٢.

(٤) القصص: ٢٧.

كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[١] وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي التّجأ إلى التَّظاهر بالكفر خوفًا من أعداء الإسلام، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٢] وقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[٣]

قال الشَّيخ محمد رضا المظفر: [٤]« عقيدتنا في التَّقية روي عن صادق آل البيت عليهم السَّلام في الأثر الصَّحيح التَّقية ديني ودين ابائي و من لاتقية له لادين له وكذلك هي، لقد كانت شعارًا لآل البيت عليهم السَّلام دفعًا للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنًا لدمائهم واستصلاحًا لحال المسلمين وجمعًا لكلمتهم، ولمًّا لشعثهم.....»

وقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: «**التَّقية من أفضل أعمال المؤمن، يصون بها نفسه واخوانه عن الفاجرين، وقضاء حقوق الاخوان أشراف أعمال المتقين، يستجاب مودة الملائكة المقربين وشوق الحور العين**»[٥]

---

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) ال عمران: ٢٨.

(٣) غافر: ٢٨.

(٤) الشَّيخ محمد رضا المظفر، عقائد الامامية: ٨٤.

(٥) الحرّ العاملي، وسائل الشَّيعة: ١٦ / ، ٢٢٢ تفسير الإمام العسكري: ٣٥٠.

والتَّقية موجودة في مذهب السنة كما هي موجودة عند الشيعة قال البخاري في صحيحه:[١] كتاب الاكراه، (وقول الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وقال الا ان تتقوا منهم تقاة وهي تقية).

قال صاحب الميزان في قوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة، الاتقاء في الاصل اخذ الوقاية للخوف....

وقال في الآية دلالة ظاهرة على الرخصة في التقية على ماروي عن أئمة أهل البيت عليهم السَّلام....)[٢]

هذه الايات والروايات تدل على حجية التَّقية وهي من الدّين بل من لا يعمل بها خارج عن الدين؛ للفائدة والمصلحة الموجودة فيها من حفظ الانفس وافلات العباد والمؤمنين من ايدي الحكام الظالمين والطغاة المستولين على رقاب الناس بالقوة والنار والحديد وبالقتل والتشريد والزج في السجون، ولذا غاب الإمام عليه السَّلام للحفاظ على حياته وان لا تخلو الأرض من حجة وهذه الحجة أما أن تكون ظاهرة أو غائبة مخفية وهو في كلا الحالتين يؤدي دوره المكلف به، ولا يمنع مانع باعتباره خليفة الله في

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٥٥.

(٢) العلاّمة الطّباطبائي، تفسير الميزان: ٣/ ١٥٣.

الأرض ويمتلك وسائل و أدوات الخليفة، فهذه سنة الله أرادها الله عَزَّ وجَلَّ ان تسري في أنبيائه وخلفاءه وأولياءه من آدم عليه السَّلام إلى الإمام المهدي المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف فهو يقوم بمهمته ويؤديها بأكمل صورة، فالتَّقية عند الإمام عليه السَّلام باعتباره لا يعمل ظاهرًا في مرأى من النَّاس فيكون عمله سرًا وخفاءً، وهذا لا يضر كونه خليفة الله ومصلحًا ومنقذًا ما دام عنده الوسائل التي يتحرك بها ويعمل بها وتكون مساحة العمل اوسع، والعمل بالسّرية يكون أكثر أمانًا وعدم اكتشافه من قبل الأعداء ويصل إلى الهدف الذي رسمته الشَّريعة له، ويكمل المسيرة بهذا الاسلوب الخفي لحين ظهوره عندما يظهر لا يعمل باسلوب التقية لزوال أسبابها.

٣- حتى لا تكون بيعة لأحد في عنقه:.

سيطر حكام الجور على مقدرات الأمة وجاؤ إلى الحكم بالقوة والحيّل والمكر وبعناوين براقة وباسم الإسلام والاسلام منها براء حتَّى أنَّهم لما تمكنوا من الحكم ظلموا العباد واهلكوا الحرث والنَّسل وعاشوا في الأرض فسادًا، لما سلكوا هذا الطّريق عارضهم أصحاب الضَّمائر اليقظة والمؤمنون والمصلحون وان لم يكونوا بصورة علنية، وبالتَّالي الذي لم يبايعهم يعرض

نفسه للقتل وعائلته للترويع وقطع معاشه لذلك النَّاس بايعتهم ظاهرًا لتقية أو مكرها أو غيرهما، فالأئمة عليهم السَّلام لهذا أو لغيره يبايعون حكام الجور وإلّا يعرضون أنفسهم إلى الهلاك والقتل يبايعون مكرهين مجبرين بالتّالي تحققت البيعة منهم، لكن الإمام الثّاني عشر عليه السَّلام ليس لاحد بيعة في عنقه؛ لأنَّه غاب عليه السَّلام، ولا يستطيع الظّلمة النَّيل منه ومن شخصه المبارك، فالبيعة لم تحصل منه بسبب الغَيبة، فهي كانت مسوغًا لخفاء الإمام عليه السَّلام وغيبته، قال الإمام الحسين عليه السلام «... **أما علمتم أنَّه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السَّلام خلفه، فإن الله عزَّ وجلَّ يخفى ولادته لئلا يكون في عنقه بيعة...**»[1]

وعن الإمام الصَّادق عليه السَّلام قال: «**يبعث القائم وليس في عنقه بيعة لأحد**»[2] فهذا من المسوغات التي جعلت الإمام عليه السَّلام يغيب ويختفي عن انظار الناس وهو أن لا تكون بيعة منه لسلاطين الجور والحكام الظّلمة.

وعن محمد بن يعقوب الكليني عن اسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله، أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التَّوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه

---

(١) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٢ المطبعة العلمية قم سنة ١٣٨١ هـ

(٢) الشّيخ الصَّدوق، كمال الدّين: ٤٣٦ باب علة الغيبة / ح٢.

السَّلام: «..... وأما علّة ما وقع في الغَيبة فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول (يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم) أنَّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وأنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطَّواغيت في عنقي»[١].

إن ديدن الظّالمين اجبار النَّاس على بيعتهم هذا بالنَّسبة إلى الأئمة عليهم السَّلام والمؤمنين المخلصين الّذين خضعوا للتمحيص، أما بالنَّسبة للآخرين، فتوجد عندهم أساليب متعددة في التّرغيب والتَّرهيب، فقد روي علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه: إنّ الإمام الرَّضا عليه السَّلام قال: **«كأني بالشّيعة عند فقدهم الثّالث من ولدي كالنّعم يطلبون المرعى فلا يجدونه فقال له: ولم ذاك يابن رسول الله؟ قال عليه السَّلام: لأنَّ امامهم يغيب عنهم قال: ولم؟ لئلا يكون في عنقه لأحد حجة إذا قام بالسَّيف»**[٢]

٤- حتَّى لا تخلو الأرض من حجة فتسيخ باهلها

إنّ غَيبة الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف فيها فائدة ومصلحة لأهل الأرض، فبوجوده المبارك يمنع الأرض أن تميد بأهلها نعم، لأنَّ السَّماوات

(١) الطّبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٥٤٢.

(٢) الشَّيخ الصَّدوق، علل الشرَّائع: ١ / ٢٤٥ ت١٧٩ / ح٦.

والأرض وما بينهما ما خلقت إلّا لأجل الأئمة عليهم السَّلام الذين هم أوتاد الأرض، عن جابر بن يزيد الحفي قال: قال الامام الباقر عليه السَّلام (.... قم قال لمحمد صلّى الله عليه وأله: وعزَّتي وجلالي وعلو شأني لولاك ولولا علي وعترتكما الهادون المهديون الرَّاشدون ما خلقت الجنَّة والنَّار ولا المكان ولا الأرض ولا السَّماء ولا الملائكة ولا خلقًا يعبدني)[١] ثمَّ أنهَّم حجج الله في الأرض وهم عدل القرآن لن يفترقا حتَّى يردا عليّ الحوض كما قال النَّبي صلّى الله عليه وأله فلا بد من وجود حجة في الأرض فغاب عليه السَّلام للحفاظ على هذه الحجة وعلى العدل الذي قال به النَّبي محمد صلّى الله عليه وأله باعتبار القرآن باقٍ وهما لن يفترقا فلابد من بقاء الامام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف على طول الخط فغاب للحفاظ على الاقتران بينه وبين القرآن لأنَّ طبيعة الأنظمة الظّالمة إذا شعرت بالمصلح والعمليَّة الاصلاحيَّة ولاسيما إذا كان الإصلاح إلهيًا تباغته بالتَّصفية والإعدام والإزالة، ولذا يكون السّتار والخفاء أمان له من قوى الظّلم والشَّر من تصفيته وقتله، قال الإمام الحسين عليه السَّلام: «**نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين.... ونحن أمان لأهل الأرض كما النَّجوم أمان لأهل السَّماء ونحن الّذين بنا يمسك السَّماء أن تقع على الأرض إلّا باذنه وبنا يمسك الأرض**

(١) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٦.

أن تميد بأهلها...... وتخرج بركات الأرض منا لساخت الارض بأهلها ثمَّ قال: ولم تخلو الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور»[١]

قال رسول الله صلّى الله عليه وأله: «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**»[٢]

٥- لامتحان العباد واختبارهم وتمحيصهم

إنَّ الدّنيا دار اختيار وامتحان ودار عمل أما الآخرة دار حساب وجزاء ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[٣] والإنسان مادام في هذه الدّنيا فهو معرض إلى البلاء والاختبار وهل ينجح في نهاية المطاف أو يفشل؟ اعتمادًا على جهوده وأعماله التي يقوم بها ازاء ما يواجهه قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٤]

فمرحلة الاختيار يمر بها الإنسان وها نحن نمر بمرحلة عصيبة ألَا

(١) الطّبرسي، الاحتجاج: ٢ / ١٥١.

(٢) أحمد بن عبد الله الطّبري، ذخائر العقبى: ١٧.

(٣) المؤمن: ٣٩.

(٤) العنكبوت: ٢.

وهي مرحلة الغَيبة للإمام الثّاني عشر عليه السَّلام، وما يشوبها من فتن ومشاكل ودعوات ما أنزل الله بها من سلطان، فعلينا أن نجتاز هذه المرحلة بنجاح وأمان، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول «... **غير أنَّ الله تبارك وتعالى يحب أن يمتحن الشّيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون**»(١) وقال الإمام الصَّادق عليه السَّلام «**أما والله ليغبن إمامكم شيئًا من دهركم ولتمحصن حتَّى يقال مات أو هلك، بأيّ وادٍ سلك ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفأن كما تكفأ السّفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه**»(٢) في رواية زرارة في كتاب كمال الدين موجود فيه (يحب) وفي بحار الانوار توجد كلمة (يحب) وكيفما كان فإن الرَّواية ذكرت أنَّ النَّاس يمتحنون ويسقط من يسقط بسبب شكه في أمر الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وعدم تهيئة نفسه وصقلها في زمن الغَيبة ممَّا يسبب خذلانه لإمام زمانه وعدم تأييده ونصره في ظهوره وتكون نتيجته الخسارة الكبرى في الدّنيا والآخرة؛ لأنَّ الإنسان الّذي يبيع نفسه دون الجنَّة فبئس هذا البيع ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٣) هي الخسارة

(١) الشَّيخ الصَّدوق، كمال الدّين: ٢ ب٣٣ / ح٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٨١.

(٣) التوبة: ١١١.

الكبرى ونصرة الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وتأييده طريق إلى الجنّة وبذل النَّفس وبيعها لأجل الذَّود عنه وعن قيامه الإصلاحي لهو بذل في سبيل الله وفداء للدين ولتطبيق شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلّى الله عليه وأله، وهذا البيع الذي يبذل فيه الإنسان نفسه لنصرة إمام زمانه وتقوية دولته المباركة الذي ينشر فيها العدل والمساواة بين النَّاس ويجعلهم في أمان ومعيشة مكفولة بحيث يبحث الفرد في دولة الإمام عجَّل الله تعالى فرجه عن فقير ليعطيه الحق الشرعي فلم يجده، فدخول الإنسان الجنَّة لا يأتي من فراغ أو انتظار فقط أو جلوس أو تكاسل فلا بد من عمل في زمن الانتظار والتهيؤ في فترة الغَيبة لمرحلة أخرى وهي مرحلة الظّهور، ويمر الإنسان في هذه المرحلةـ الغَيبة باختبارات وامتحانات ومصاعب أشد عليه من خرط القتاد أو يكون الواحد منهم الملتزم بدينه كالقابض على حجر الغضا، قال رسول الله صلّى الله عليه وأله: « **لأحدهم اشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، او كالقابض على حجر الغضا أولئك مصابيح الدّجى، ينجيهم الله من كلّ فتنة غرّاء مظلمة**»[١]

عن الأصبغ بن نباتة قال أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «...

(١) محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، بصائر الدّرجات: ٨٣.

تكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»(١)

ثمَّ أنَّ الرَّوايات جاءت مؤكدة أنَّ المحنة والامتحان اللّذان يمرّان على العباد من الله تعالى في زمن الغَيبة، قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السَّلام: «**قال: إذا فقد الخامس من ولد السَّابع من الأئمة، فالله الله في أديانكم، لا يزيلنكم عنها أحد، يا بني، أنّه لا تبت لصاحب هذا الأمر من غيبة حتَّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به إنَّما هي محنة من الله أمتحن الله تعالى بها خلقه**»(٢)

وعن الإمام الصَّادق عليه السَّلام قال: «**والله، لتكسرن كسر الزّجاج وأن الزّجاج يعاد فيعود كما كان، والله، لتكسرن كسر الفخار وأنَّ الفخار لايعوج كما كان، والله لتميزن، والله، لتمحصن والله، لتغربلن كما يغربل الزؤان من القمح**»(٣)

هذه الصَّعوبة والشَّدة تمرّ على العباد لامتحانهم، فالصَّابرون عليها ينالون المقامات السَّاميَّة والدَّرجات العاليَّة والجنَّات التي وعدهم الله، وأمَّا ما يصيبهم من ظلم وحيف لا يريده الله لعباده أبدًا إنما جاء من سوء

---

(١) الشَّيخ الطوسي، الغيبة: ٢٢٧.

(٢) الشَّيخ الطّوسي، الغيبة: ٢٢٨.

(٣) الشَّيخ الطّوسي، الغَيبة: ٣٤٠، الزوان: حب يخالط القمح.

فعل الأمَّة وامتناع النَّاس عن فريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر حتَّى تمادى سلاطين الجور وحكام الظّلم إلى أن وصلوا إلى هذه الحالة المزرية التي تأبها الشَّرائع السَّماويَّة والمخالفة للأحكام الشَّرعيَّة من ظلم وتشريد وزج في السّجون ومن قتل وكبت للحريات بل يأبى هذه الأعمال كلّ إنسان بما يحمل من إنسانيَّة، وما أصاب الرَّسول صلّى الله عليه وأله والأئمة عليهم السَّلام من ظلم واضطهاد من الكافرين والظّالمين وحكام الجور بالرغم من أنَّهم من الطّراز الأول للإيمان، بل من أوضح مصاديق الإيمان، فأصابهم ظلم ومحاصرة اقتصاديَّة ومراقبة وزج في السّجون وقتل، وهم عباد الله المؤمنون أرادهم الله أن يكونوا قادة الأمم فأزالوهم عن مناصبهم الّتي نصّبهم الله فيها، وإذا أراد الله شيئًا أن يقول له كن فيكون لكن شاء الله أن تسري الأمور في مسراها الطّبيعي حتَّى يتحقق التَّكليف، فيثاب من يعمل صالحًا ويعاقب من عمل سيئًا، روي عن جابر الجعفي قال: «**قلت لأبي جعفر عليه السَّلام متَّى يكون فرجكم؟ فقال: هيهات هيهات: لا يكون فرجنا حتَّى تغربلوا، ثمَّ تغربلوا، ثمَّ تغربلوا يقولها ثلاثًا حتَّى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصَّفو**»(١)

وكذلك روي عن الإمام الباقر عليه السَّلام أنَّه قال: «**لتمحصن يامعشر**

(١) الشَّيخ الطّوسي، الغيبة: ٢٢٩.

الشَّيعة شيعة آل محمد كمحيص الكحل في العين؛ لأنَّ صاحب الكحل يعلم متَّى يقع في العين ولا يعلم متّى يذهب فيصبح أحدكم وهو يرى أنَّه على شريعة من أمرنا، فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا، فيصبح وقد خرج منها»(١) وذكر هذا السَّبب للغيبة تبعًا للرّوايات لكن العلم عند الله وهو العالم بالأسرار والخفايا علّام الغيوم وعنده مفاتح الغيب سبحانه وتعالى علوا كبيرًا وكما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٦- الغَيبة من سنن الله الّتي جرت على الأنبياء والأولياء السَّابقين كموسى وعيسى وإبراهيم ويونس ويوسف وغيرهم وأرادها الله أن تجري على الإمام الثّاني عشر المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف.

شاءت حكمة الله وسنته أن تكون هكذا قال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾(٢) إن غيبة الإمام المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف سواء كانت في أصلها أو مدتها أو كيفيتها لم يكن الوحيد الذي جرت عليه ولم يكن الوحيد الذي غاب عن شيعته ومواليه، فهي جرت على أقوام وأنبياء سابقين وأصابهم ما أصابهم فيها، عن الإمام الحسين عليه السَّلام قال: «**في القائم منَّا سنن من الأنبياء سنَّة من نوح،**

---

(١) الشَّيخ الطّوسي، الغيبة: ٢٢٩.

(٢) فاطر: ٤٣.

وسنَّة من إبراهيم، وسنَّة من عيسى، وسنَّة من أيوب، وسنَّة من محمد صلّى الله عليه وأله: فأما من نوح طول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال النَّاس، وأما من موسى فالخوف والغَيبة وأما من عيسى فاختلاف النَّاس فيه وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد صلّى الله عليه وأله فالخروج بالسَّيف»(١)

إنَّ للإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف غيبتين الأولى بعد وفاة والده الإمام الحسن العسكري عليه السَّلام سنة ٢٦٠ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ عند وفاة السفير الرَّابع أبو الحسن علي بن محمد السَّمري الذي كانت وفاته في الخامس عشر من شعبان سنة ٣٢٩ هـ والثّانية من سنة ٣٢٩ هـ الى الآن ولحين يأذن الله له بالظّهور قال أبو عبد الله عليه السَّلام: « **للقائم غيبتان أحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة مواليه»**(٢)

وإنَّ الغيبة الكبرى التي نحن فيها تكون النِّيابة فيها للفقهاء والمجتهدين المتصفين بصفات معينة بينها الإمام الحسن العسكري عليه السَّلام فقد ورد عنه عليه السَّلام: «**فأما من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه، حافظا لدينه،**

---

(١) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٢ المطبعة العلمية قم ١٣٨١ هـ
(٢) الشَّيخ الكليني، الكافي: ١ / ٣٤٠.

مخالفا لهواه، مطيعًا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»(١)

وعن اسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصّل ليّ كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ فورد التَّوقيع بخط مولانا صاحب الزَّمان عليه السَّلام: « **أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك إلى أن قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»**(٢) وغيرها من الرَّوايات التي تقول بأن الولاية للفقهاء المتقين الورعين الحافظين لحدود الله المدافعين عن حقوق عباده والمراعين لليتامى والفقراء، فهذه الصَّفات ليست سهلة بسيطة إنَّما تحتاج إلى رياضة روحية وعبادة إلهيَّة وتوفيق من ربّ العالمين ولا ينالها إلا ذو حظٍ عظيم. فهي سِنَّة إلهيَّة أجراها المولى عَزَّ وَجَلَّ لإتمام سنته واكمال حجته على عباده وليمتحنهم فيها فمن تمسك بصاحبها فاز وانتصر ومن لم يتمسك به خاب وخسر.

٧- إنَّ غيبة الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشّريف سر من أسرار الله لم يطلع الله عليه أحدًا وهو العالم بحقائق الأمور لسبب هو أعلم به وقد غاب عنَّا ونعلم أنَّ الله عالم وحكيم لا يفعل شيئًا إلّا لحكمة ومصلحة

---

(١) الحرّ العاملي، وسائل الشّيعة: ٢٧ / ١٣١.

(٢) الشّيخ الطّوسي، الغَيبة: ٢٩١.

للعباد وإن كنَّا لم نطلع على المصلحة ولا نعرف الحكمة.

فالسَّبب الحقيقي أو الرَّئيسي لغيبة الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف يعرفه الله عَزَّ وَجَلَّ وهو سر من أسراره لم يطلع عليه أحدًا من عباده فحافظ على هذا السَّبب لحين ظهور الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف فيخبرنا به، كما في أمر خرق السَّفينة وقتل الغلام وبناء الجدار الذي قام به العبد الصَّالح الخضر عليه السَّلام، فعدم علم نبي الله موسى عليه السَّلام بالمصلحة رغم أنَّه من أنبياء أولي العزم وهذا ليس معناه عدم وجود مصلحة وفائدة للأعمال التي قام بها الخضر عليه السَّلام، إنَّما هي موجودة فأخبره بها الخضر بعد ما ألتقيا بعد ما اعترض موسى عليه السَّلام على مافعل الخضر عليه السَّلام، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصَّادق جعفر بن محمد عليه السَّلام يقول: « **إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لابد منها يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت: ولمَ جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم؟ قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال:وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، أنَّ وجه الحكمة في ذلك لاينكشف إلّا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما آتاه الخضر عليه السَّلام من خرق السَّفينة، وقتل الغلام واقامة الجدار لموسى عليه السَّلام إلى وقت افتراقهما يابن الفضل: إنَّ هذا الأمر من (امر)**

الله تعالى وسر من أسرار الله وغيب من غيب الله، ومتَّى علِمنا أنَّه عَزَّ وَجَلَّ حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف»[١] إنَّ الله عزيز حكيم عالم بمصلحة عباده فيفعل مايشاء ويترك مايشاء اعتمادًا على علمه وحكمته بما ينفع العباد فالله سبحانه وتعالى لا ينفعه طاعة العباد ولا تزيد في ملكه ولا تنقصه معصية النَّاس، ولا تضره شيئًا ﴿إنّ ربَّك حكيمٌ عليمٌ﴾[٢] ﴿إنّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾[٣] وجاء في مجمع البيان[٤] معنى اية (ان ربك حكيم عليم) أي محكم لأفعاله عليم بكلّ شيء وقيل: حكيم في عقاب من يختار أن يعاقبه والعفو عمن يختار ان يعفو عنه، عليم بمن يستحق الثواب، وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق العقاب، وبمقدار ما يستحقه)

وجاء في الميزان[٥] تفسير الاية (ان الله عزيز حكيم) (اي عزيز لا يفقد شيئًا بزواله عنه حكيم لا يفعل شيئا إلّا من طريق اللائق به اذن غيبة الامام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف لمصلحة وحكمة وان خفيت

---

(١) الشّيخ الصَّدوق، كمال الدّين: ٢ / ٤٣٧-٤٣٨.

(٢) الأنعام: ٨٣.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

(٤) الشَّيخ الطّبرسي، مجمع البيان: ٤ / ١٦٢.

(٥) الميزان: ٢ / ٣٧٧.

علينا لكن الله يعلمها ويعرف بها لأنه هو العزيز العليم الحكيم، وظهوره عليه السَّلام يكون بإذن الله ومتى ماشاء الله تعالى لطلعته البهية أن تطلع علينا، فنفوز في الدّنيا والآخرة، قال النَّبي صلّى الله عليه وأله: ﴿**إنَّما مثل قائمنا أهل البيت كمثل السَّاعة لا يجليها لوقتها إلّا هو ثقلت في السَّماوات والأرض ولا يأتيكم إلّا بغتة**﴾[1]

وورد عن الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشّريف أنَّه قال لبعض شيعته «**اغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، واكثروا من الدّعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم والسَّلام على من اتبع الهدى**»[2]

الله عزوجل بين هذه الحقيقة في كتابه العزيز فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ..﴾[3] نهى الله سبحانه وتعالى عن السّؤال عن بعض الاشياء لأنَّها قد تثير الشَّكوك والرَّيب عند الآخرين بحيث يؤدي الأمر إلى مفاسد أكثر، الآية التي بعدها تؤكد هذه الحقيقة، وتبيّن أنَّ أقوامًا سابقين كانت لهم أسئلة كهذه وبعد أن سمعوا أجوبتها

---

(١) البرهان في علامات آخر الزَّمان: ١ / ٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ٩٢.

(٣) المائدة: ١٠٢.

خالفوها وعصوا: لقد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين)[١]

صفوة القول: لا مانع أن نجمع بين أسباب الغيبة المتقدمة، وهذا السَّبب الأخير بحيث ذكرتها الرَّوايات الواردة عن أهل البيت عليهم السَّلام ويبقى الأمر بيد الله، فهو علّام الغيوب وفوق كلّ ذي علم عليم، وهو الأعلم بدقائق الأمور واسرارها وحقائق الأشياء- فبعض الأسباب بيّنها ووضحها والبعض الآخر لم يبيّنها لعلة أخفاها علينا لتكن سر من أسراره، ويظهرها على لسان وليّه القائم الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف بعد ظهوره كما بينت الأمور الثّلاث (خرق السَّفينة، قتل الغلام، إقامة الجدار) وأسبابها لموسى عليه السَّلام على لسان العبد الصَّالح الخضر عليه السَّلام.

مسؤوليات الغَيبة

بما أننا في الغيبة الكبرى للإمام الثّاني عشر الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وفي مرحلة الانتظار التي تتطلب منَّا القيام ببعض الأعمال لنكون في هذه المرحلة من المهيئين والمشاركين في ظهور الإمام عليه السَّلام

(١) الأمثل: ٤ / ١٦٦.

ومن المؤيدين والنَّاصرين والدَّافعين عنه في مرحلة الظّهور لذا على كلّ واحد أن يقوم بوظفيته التي حددتها الرّوايات الواردة عن النَّبي صلّى الله عليه وأله وأهل البيت عليهم السَّلام ليفوز في الدّنيا والآخرة، ويكون من أهل الجنَّة، وهذا الفوز يأتي بعد عمل وبذل جهد ويمرّ الإنسان ببلاءات وانتكاسات وحالات ضعف لولا الصَّبر والأمل الذي يعيش في داخله بأن الأرض يرثها الله لعباده الصَّالحين وخروج المصلح العالمي الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا لأنزلق وحادّ عن الجادة التي رسمتها الشّريعة المقدسة ومن هذه الأعمال:

١- إنَّ انتظار الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف يجب أن يكون بصورة دائمة ومستمرة مع ترقب ظهور الدَّولة العادلة والحكومة الإلهيَّة التي تنشر العدل في جميع أرجاءها.

هذه الدَّولة الّتي بشّر بها النَّبي صلّى الله عليه وأله والأئمة عليهم السَّلام بمثابة البيت الّذي لا يعبد فيها إلّا الله ويرفع عن العباد كلّ بلاء وشدة ولا يبقى على الدّين سرًا أو حجاب خوفًا من أحد، فقد جاء في زيارة الإمام المهدي عليه السَّلام «**السَّلام على المهدي الّذي وعد الله به الأمم أن يجمع به الكلم ويلمّ به الشّعث ويملأ به الأرض عدلًا وقسطًا، وينجز به وعد**

المؤمنين»[١] وروي عن اسماعيل الجعفي قال: دخل رجل على أبي جعفر عليه السَّلام ومعه صحيفة فقال له أبو جعفر عليه السَّلام: هذه صحيفة... مخاصم يسأل عن الدّين الّذي يقبل فيه العمل فقال:رحمك الله هذا الذي أريد، فقال أبو جعفر عليه السَّلام: «**شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا صلّى الله عليه وأله عبده ورسوله وتقرّ بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدونا والتَّسليم لأمرنا والورع والتّواضع وانتظار قائمنا فإن لنا دولة إذا شاء الله وجاء بها** »[٢] وعن المفضل بن عمران (قال ذكر القائم عليه السَّلام ومن مات من أصحابنا ينتظره فقال لنا أبو عبد الله عليه السَّلام: «**إذا قام أوتي المؤمن في قبره فيقال له: ياهذا قد ظهر صاحبك فإن تشأ ان تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم**»[٣] الإمام عليه السَّلام في هذه الرَّواية يؤكد على مرحلة الانتظار فينتفع بها الفرد حتَّى بعد الممات والمنتظر فيها يكون من أصحاب الإمام المهدي عليه السَّلام فإن مات كان له الخيار باللّحوق مع الإمام المهدي عليه السَّلام فينبغي أولًا أن لا يكون الشَّخص في هذه المرحلة (الغيبة) من

---

(١) محمد بن المشهدي، المزار: ٢ / ٢٠٣.

(٢) الشَّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٢١.

(٣) الشَّيخ الطّوسي، الغيبة: ٣٠١.

غير المنتظرين الّذين تاهوا وضيّعوا طريق الحق فكانوا من الخاسرين، وهذه المرحلة هي مرحلة مصيرية فيها يخطط الإنسان ويرسم له طريق العبور إلى مرحلة الظّهور، فإذا كان كسولًا متقاعسًا غير حركي لا يتفاعل مع الأحداث سوف لايصل إلى شاطئ الأمان ويسقط في هذه المرحلة، وتكون عاقبته السّوء، ويكون ممن يختم الإمام عليه السَّلام على جبينه أنه كافر؛ لأنَّه لم يهيأ نفسه في هذه المرحلة ولم يصقلها لنصرة الإمام وتأييده والقتال بين يديه.

إذن فترة غيبة الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف فترة مهمة للإنسان وهي ترسم له عاقبته أما أن يكون من أنصار الإمام ومؤيديه، فتكون عاقبته جنَّة تجري من تحتها الأنهار أو يكون من المتخاذلين والمتقاعسين عن نصرة الإمام عليه السَّلام فتكون عاقبته سوءًا، وهذا كلّه يعتمد على فترة الانتظار الّذي يؤكد عليها الإمام عليه السَّلام في الرّواية المتقدمة ويبيّن مدى منفعة المنتظِر حتَّى بعد وفاته إذا لم يدرك الإمام عليه السَّلام في حياته وهذه دلالة على أهمية هذه المرحلة فهي صعبة وخطرة، لأنَّها تمرّ بامتحانات وانتكاسات واخفاق وضعف لا ينجوا منها إلّا من كان صابرًا محتسبًا مؤمنًا أراد الله به خيرًا وأخذ بيده إلى طريق الحق، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السَّلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وأله: «**سيأتي قوم من بعدكم الرَّجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول الله، نحن كنَّا**

معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن، فقال: إنَّكم لو تحملون لما حملوا لم تصبروا صبرهم»[١] وهذا يدل على ما يمر بهم من محن وابتلاءات تكون أشد وأصعب ممَّا مرَّ به أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وأله بالرَّغم ما عانوا من المشركين من تعذيب وحصار وتهجير وقتل، ولذا قال النَّبي صلّى الله عليه وأله الواحد منهم له أجر خمسين من أصحابه: لأنّهم صبروا بما لم يصبر عليه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وأله إذا أصابهم مثل ما أصاب المنتظرين لأنَّ الرَّسول صلّى الله عليه وأله كان بين أيديهم وعمله ظاهر للعيان، وبعد موته انقلبوا على أعقابهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[٢]

أما المنتظرون فهم المؤمنون الصَّابرون على غيبة إمامهم الآملون بظهوره كمصلح يملأ الأرض قسطًا وعدلًا وهو الإمام الحجة المنتظر، فهم يعتقدون بأمر غيبي وبإمام غائب عن الأعين وإن كانت غيبته غيبة ظهور لا غيبة حضور ويصبرون على أمر غيبي ويتمسكون بدينهم كـ خارط القتاد بيديه، عن صالح بن محمد عن هاين التمار قال: قال لي أبو عبد الله عليه السّلام: «**إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كالخارط**

(١) الشَّيخ الطّوسي، الغَيبة: ٣٠٠.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

للقتاد بيديه، ثم قال هكذا بيده، فأيكم يمسك شوك القتاد بيده؟ ثمَّ قال: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه»[(١)]

ينبغي أن يكون الإيمان بالغيب عميقًا في نفس الإنسان، وكلّما أزداد عمقًا يكون التَّطبيق خالصًا وخالي من الشَّوائب، فهي التي تعكّر جو الإيمان، وتجعل الإنسان بعيدًا عن هذه العلاقة العميقة؛ بسبب ما يرتكبه من ذنوب وآثام كالنَّاظر في المرآة المغبرة يرى صورته مشوهة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)] إنَّ الإيمان بغيبة الإمام عليه السَّلام يكون عنصرًا فاعلًا في التَّحرك في جميع مجالات الحياة، فيكون المؤمن حركيًا بما يؤمن به عاملًا مشتغلًا ساعيًا بصورة دائمة ومستمرة لا تنقطع أبدًا، ولا تجد عنده هوادة حتَّى يصل إلى هدفه ومبتغاه ثمَّ أنَّه يعمّق العلاقة بين المؤمنين المنتظرين لظهوره المبارك الذين يتهيؤون لنصرة إمامهم والوقوف بجنبه لأنَّ من يؤمن به ويسلم أمره بالطّاعة حال غيبته، فهو في حال ظهوره أولى بالتَّسليم والطَّاعة.

أخذ الإيمان بالغيب مرتبة الصَّدارة في صفات المتقين في الآية الكريمة؛

---

(١) الشَّيخ الطّوسي، الغيبة: ٢٩٩.

(٢) البقرة: ٤ و٥.

لأهميته وهو الأساس في الانطلاق نحو الله عَزَّ وَجَلَّ، ويكون عاملًا لتعميق العلاقة بين الإنسان المؤمن وبين الله تعالى وبين المؤمنين أنفسهم.

٢- بما أنَّ الإنسان في مرحلة الغيبة يمرّ باخفاقات وانتكاسات وضعف، فيحتاج إلى ما يقويه ويعضده لمواجهة مثل هذه الأمور ليكون ذا ارادة صلبة فولاذية لا تتصدع ولا تتأثر بما يمر عليها وخير ما يقويه الكتاب الكريم والسنَّة الشَّريفة.

إنَّ القرآن الكريم والسنَّة الشَّريفة لا يفترقان وهما اللّذان يرسمان الطّريق للإنسان وعند مروره بحالة الضَّعف فعليه قراءة القرآن وخاصة الآيات التي تؤدي إلى تقوية الإرادة وزيادة الإيمان والتَّبصرة بأنَّ الله واحد وهو القادر على كلّ شيء، فإذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون وهو الّذي يغيّر الأحوال من حالٍ إلى حالٍ، لكن الإنسان عليه أن يسعى ويجد ويجتهد ويعمل لتحقيق مراده والوصول إلى هدفه لأنَّ الاتكال على الله عَزَّ وَجَلَّ وحده لا ينفع شيئًا نعم، بعد البحث والتّنقيب والعمل بما بريد الإنسان ثمَّ يدعو الله سبحانه وتعالى أو قبل العمل يدعو الله بالتَّوفيق وتيسير الأمور، لكن المهم السَّعي والعمل قال الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١) وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ

(١) الملك: ١٥.

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[(١)] كيف الإنسان يضعف أو يحزن بما يصيبه أو يلاقيه خلال فترة الغَيبة؟ وهو يعتقد بأنَّ إمام زمانه يراه ويسمعه وهو سند له وسيظهر يملأ الارض قسطا وعدلا، وكيف الانسان يحزن؟ وهو يرى الله بايمانه ويرسم له الدَّرجة التي فيها ويقول له أنت في الدَّرجة العليا فكيف يقبل بالأدنى؟ هذا المعنى يعطيه شحنة زائدة وقوة تجلعه يسعى ويبحث ويتحرك ويعمل لأجل أن يكون من أصحاب الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ومن أنصاره والمقاتلين تحت لواءه، وفي آية أخرى يقول ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٢)] عندما يكون الفوز للرسل واتباعهم وللأئمة ومناصريهم، وتكون النَّتيجة النَّهائية لصالحهم، هو هذا المعنى بنفسه يبعث القوة والحركة والعمل في مسيرة الإنسان، ويزيل عنه حالات الضَّعف والانكسار، فغيبة الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وإن طالت فما يصيب المؤمن فيها لا يضعفه عن ايمانه واعتقاده مادام يقرأ هذه الآيات والرَّوايات وأمثالها بروية وتفكر وأنَّ الأرض تملأ قسطًا وعدلًا بظهور المصلح العالمي الإمام الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وعند موت الفرد وكان من المنتظرين لإمام زمانه يبعثه الله ويخيّره

(١) آل عمران: ١٣٩.

(٢) المجادلة: ٢١.

بين كرامة الاقامة وبين اللّحوق بالإمام عليه السَّلام كما في رواية المفضل بن عمر المتقدمة، ثمَّ أنَّ هذا التأكيد في الآية الكريمة بـ (كتب، لام التأكيد، ونون التوكيد الثقيلة لهو شاهد صدق ودلالة على الفوز والنَّصر الإلهي لا يشوبه أي شك.

وفي آية ثالثة: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١) وعد الله سبحانه وتعالى الّذين ينصرونه بالنَّصر، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى والله لا يخلف الوعد لأنَّه هو القويّ العزيز القادر المقتدر على ذلك، وهذا المعنى يزيد المؤمنين قوة وطاقة وان لا يتصوروا بأنهم وحيدون في السَّاحة ويواجهون أعداء أكثر منهم عددًا وعدة ويستشعرهم بأن الله معهم وهو الذي ينصرهم وفي غيبة الامام عليه السَّلام عندما يستشعر المؤمن بهذا المعنى، فيسارع في العمل والحركة وأن يكون من المشاركين في ظهور الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ومن النَّاصرين والمؤيدين له، فهذا المعنى عامل مساعد لجعل الإنسان قويًا صلبًا بما يواجهه من صعاب ويقويه إذا كان ضعيفًا فشعوره بمعية الله ونصره وأنَّ الله قادر على ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٢) يجعل الانسان يتغلب على الأهواء والشهوات ويتحول

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) الحج: ٤٠.

إلى ثورة عارمة للعمل الحركي ويزيل كلّ ما أصابه في مرحلة الغَيبة من معوقات تضعفه وتقف بطريقه للرقي والانتصار والوقوف تحت أوامر أمامه عند ظهوره.

إذن في هذه المرحلة (الغيبة) علينا أن نتمسك بالقرآن الكريم ونجعله مصدرًا لثقافتنا ومواقفنا لنواجه له حالة الاستضعاف التي تمر بنا والتي تضعف قوانا وارادتنا مما يستغله المستكبرون والقوى الطّاغية ومن يريد بهذا الدين سوءًا وعدم تطبيق أحكامه، فيبثون سمومهم وثقافاتهم بعناوين براقة وبأساليب جذابة لفرض نفسها على وجودنا وثقافتنا ومعتقداتنا، فلنكن على حذر ونتحصن بالقرآن وآياته من الغزو الثقافي الأجنبي الذي هو غريب عن ثقافتنا واعرافنا وتقاليدنا وخاصة شبابنا الكرام الذين هم جيل المستقبل يحملون طاقة كامنة يجب أن تستخدم لخدمة الإنسان وأداء الواجب الّذي خُلق من أجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] لأنَّ الإنسان يسأل عن شبابه فيما قضاه وعن عمره فيما أفناه وعلينا أن نتمسك بالأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة وهي التي تقرب إلى السَّاحة الإلهيَّة وبها مُدح النَّبي صلّى الله عليه وأله في كتاب الله العزيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى

(١) الذاريات: ٥٦.

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١] وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**قيل يارسول الله ما أفضل حال أعطي للرجل ؟ قال: الخلق الحسن**»[٢] ولحسن الخلق آثار وضعيه تترتب عليه يشير إليها قول أمير المؤمنين عليه السَّلام: «**البر وحسن الخلق، يعمران الدَّيار، ويزيدان في الأعمار**»[٣]

وتوجد حالة أخرى من الاستضعاف تصدر من الغير وهذه الحالة يصورها لنا القرآن بأجمل صورة حيث يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٤] إنَّ هذا الميراث الّذي استحقه المستضعفون ليس هو آت من استسلام وخضوع لضغوط وقوى أجنبية وهوى وشهوات متعددة إنَّما جاء من بعد صراع مرير مع الثقافات والأخلاق والمناهج الأخرى التي تحاول أن تكسب السَّاحة لصالحها والتأثير على شبابها، فعلى الإنسان أن يعيش في حالة التَّطلع التي يرسمها القرآن الكريم التي يشوبها رفض لحالة الضّعف ولا يترك نفسه تحت تأثير الثقافات والمناهج الأخرى التي تضله عن الطّريق المستقيم، قال

(١) القلم: ٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ٨ / ٤٤٢.

(٣) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ١٠٠، الدّيلمي، أعلام الدّين: ١٢٠.

(٤) القصص: ٥.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٥)

واستثنى الله سبحانه وتعالى من هذا السّياق القرآني: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(٦) فالمسألة مسألة عمل وكدح وجهد ولا ينال هذا الميراث بالتمني والتطلع والتقاعس والانتظار السلبي في عصر الغيبة.

٣- تحصين الأمة من الانحرافات التي تعصف بها ووقايتها من تأثير الاتجاهات والأفكار والتّيارات التي تتسلل إليها وتحرفها عن مسارها الصَّحيح.

إنَّ غَيبة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشَّريف من السّنن الإلهيَّة الّتي جرت على أمم وأنبياء ومصلحين سابقين وأنَّ الشَّريعة واحدة إلّا في بعض الفروع التي لا تؤثر على أصل الشَّريعة وأنَّ عدم الالتزام باحكام الشَّريعة والانفلات في الأخلاق من عوامل السخط والغضب الإلهي

(٥) النساء: ٩٧.

(٦) النساء: ٩٨-٩٩.

الّذي جرى على من قبلنا، ومن ثمَّ هذه الأفعال قد تمنع من نزول الرَّحمة واللّطف الإلهي على العباد وهذه سيرة تأريخيه يسردها لنا القرآن الكريم فكيف كانت عاقبة الذين يكذبون بآيات الله؟ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١)

إنَّ هذا العمل السَّلبي من قبل الإنسان وكذبه لآيات الله هو الذي جعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتعامل معه بصورة سلبية، فيمنع عنه لطفه ونعمه ويكله إلى نفسه ممَّا يجعل الإنسان حائرًا لا يعرف ما يعمل تائهًا تضرب به عواصف النوائب يمينًا وشمالًا وهو في ظلمات لا يجد من يهديه إلى سبيل الرَّشاد ويرشده إلى طريق الصَّواب قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢) إنَّ ارتكاب الذّنوب والآثام والابتعاد عن الخط الإلهي، هو الّذي يؤدي بالإنسان إلى كارثة الضياع، وهل توجد كارثة أسوء منها؟ بحيث تكون عاقبة الإنسان سوءًا، هذا بالنَّسبة إلى العمل السَّلبي الّذي يفعله الإنسان، ويوجد هناك عمل آخر يستطيع الإنسان أن يفعله وينجيه

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الانفال: ٥٢.

ممّا هو فيه، وتكون عاقبته حسنًا، وهو تطهير النَّفس من البراثين المتعلقة بها و الآثار السَّيئة النَّاتجة من ارتكاب الذّنوب والآثام، وتهذيب السّلوك والسَّير على جادة الشَّريعة المقدسة وهذا شرط لاستنزال البركات والعنايات الإلهيَّة قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾(١)

وعلى ضوء ماتقدم تتحد مسؤولياتنا في مرحلة الانتظار ازاء المروجين لنشر الفوضى في المجتمع والدّاعين إلى الافلات من الالتزامات بالقوانين الإلهيَّة بعناوين مختلفة كالذّين يقولون أن الانحراف والخروج عن القوانين والضَّوابط الاجتماعيَّة والأخلاقية يعجّل بظهور الإمام الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وكالذين يشككون بالاجتهاد والتَّقليد ليصلوا الى مآربهم وتحقيق أهدافهم الخبيثة المضرة بالأمة ورموزها، ولكن بتحصين الأمة من خلال معرفتها وعلمها بدينها، والرد على هؤلاء بأنَّ هذه الأقوال تعارض الكتاب والسّنة والعقل يهون الخطب ويفشل مخططات الّذين يصطادون بالماء العكر، قال النَّبي صلّى الله عليه وأله: «**طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به**

---

(١) الرعد: ١٢.

قبل قيامه يأتم به وبأئمة الهدى من قبله، ويبرأ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ من عدوهم أولئك رفقائي وأكرم أمّتي عليّ»[١] بهذا الكلام فلتبكم الأفواه وتخرس الألسن وترجع الأنفس إلى كيدها خاسرة مدحورة وكذلك في الرَّواية الواردة في التقليد عن الامام العسكري عليه السَّلام: «**فأما من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه**»[٢] وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: « **للقائم منَّا غَيبة أمدها طويل كأنّي بالشّيعة يجولان جولان النّعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه إلّا من ثبت منهم على دينه ولم يقسِ قلبه لطول أمد غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة....**»[٣]

إذن الدّين ثابت وأحكامه ثابتة إلى يوم القيامة، والالتزام بها واجب على كلّ مكلف فحلال محمد صلّى الله عليه وأله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، أما يأتي متهرج يتكلم بكلام ما أنزل الله به من سلطان، وليس له حجة فيه سوى الحجج الواهية التي يطرحها على أصحاب القلوب الطّيبة الّذين يحبون أهل البيت عليهم السَّلام وأصحاب

(١) كمال الدّين: ١ / ٢٧١-٢٧٢ ت٢٥ / ح٣.
(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السَّلام: ٢٩٨، بحار الأنوار: ٢ / ٨٦.
(٣) كمال الدّين: ١ / ٢٨٦ ت٢٦ / ح١٤.

الفطرة السَّليمة لكي يجلبهم ويحقق مآربه واهدافه المشبوهة التي يريد بها تفريق الأمة وتشتيت افرادها لهو جدير أن يتصدى إليه كلّ من يستطيع، فالمسؤولية على الجميع وفي عاتقهم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته كل حسب قابلياته وقدراته ودائرته المسؤول عنها، وبهذا العمل سوف تحصَّن الأمة وأفرادها من الزَّيغ والانحراف عن الجادة المستقيمة الّتي رسمتها الشَّريعة المقدسة، وتطبيق أحكامها بأكمل صورة، وتردّ كيد الكائدين وحسد الحاسدين والمتربصين بالشَّريعة المقدسة سوءًا والّذين باعوا الآخرة بالدّنيا لمال أو جاه أو منصب أو غير ذلك.

٤- ينبغي للإنسان أن يستفاد من حالة الأمل التي تعيش في داخله وتحدثه نفسه بها بظهور المصلح العالمي وهو الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وأن تكون مشوبة بالعمل والتَّحرك والنَّشاط.

على الإنسان أن يعي هذه المرحلة ويفهمها بأنَّها مرحلة عمل وكسب ومشاركة في ظهور الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف، ومرحلة الانتظار الإيجابي الّذي يكون فيها الفرد حركيًا مشتغلًا عاملًا متفاعلًا مع الأحداث متمسكًا بحبل الله المتين ومنهاجه القويم ورسوله الكريم وعترته الطّاهرة الطّيبة الّذين هم عدل القرآن وأمان لأهل الأرض ولولاهم لساخت الأرض بأهلها، قال الإمام موسى بن جعفر عليه السَّلام: «**طوبى لشيعتنا**

المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منَّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة »[١]فالإنسان لا ينال هذه الدّرجة الجليلة والمنزلة الرَّفيعة إلّا بالعمل والالتزام بالأحكام الشَّرعية والاعتقاد بغيبة الإمام والإيمان بها والعمل فيها بحيث تكون هذه الفترة فترة تهيئة النَّفس وتقويتها والسَّير على ما يجعلها مبايعة ومؤيدة وناصرة للإمام عليه السَّلام عند ظهوره المبارك ومن لا يكون في هذه الفترة عاملًا مشتغلًا وأخذ التَّقاعس والانتظار السَّلبي طريقًا له سوف لا يكون في مرحلة الظهور ناصرًا ويخسر الدّنيا والآخرة، لأنَّه سوف يختم على جبينه بأنَّه كافرًا، وهل توجد خسارة وذلة أخس من أن يكتب على جبين الإنسان كافرًا وأمام الملأ وبختم إمام زمانه الذي ظهر ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا، فهو العادل في حكمه المساوي بين رعيته الناشر لراية النّصر ودين الإسلام والمجدد للأحكام والمطبق لشريعة سيّد الأنام، ينبغي أن يكون الفرد في هذه المرحلة ورعًا تقيًا، وتحصل هذه الحالة عندما يكون الإنسان بعيدًا عن محارم الله تاركًا لها عامل بأحكام الشَّريعة المقدسة، لا كما يقول البعض أصحاب الأغراض المشبوهة بإطلاق صفاراتهم بإباحة الأعمال المحرمة،

(١) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٤.

فينشرون الفساد ويحللون أنفسهم من الالتزامات الشَّرعية بحجة التَّعجيل للإمام المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف بالظّهور للوصول إلى مآربهم ولكي يصطنعوا لأنفسهم العذر بأرتكاب المعاصي واشباع شهواتهم ورغباتهم بالشَّيء المحرم في حين أن الإمام الرّضا عليه السَّلام يؤكد على الالتزام بالدّين وبأحكامه حتى في حالة الغَيبة إلى أن يخرج الإمام عليه السَّلام فيطبق الشَّريعة وأحكامها بحذافيرها ودقائقها قال الإمام الرّضا عليه السَّلام: «**لادين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، وأنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فقيل له: يابن رسول الله، إلى متى قال: إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا**»[(١)]

إذن الإنسان المؤمن الّذي يريد أن يكون من المشاركين بظهور الإمام عليه السَّلام ومن أنصاره، عليه أن يستفاد من الأمل الّذي في نفسه بظهور الإمام عليه السَّلام وينشر العدل والمساواة مع العمل المتفاعل مع الأحداث وأن يكون حركيًا عاملًا مشتغلًا تقيًا ورعًا ملتزمًا بالأحكام الشَّرعية مطبقًا لها.

٥- اشباع مرحلة الغيبة بعنصر الدّعاء بتعجيل الفرج عن الإمام عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف وما أحوج الإنسان إليه في هذه المرحلة ليخلص الأمة من الأحداث المحيطة بها ومن الويلات والآلام الّتي تعاني منها، وان

(١) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٥٢٤.

لا يؤاخذها بما كسبت، فيعجل لها العذاب ويؤخر عنها الخير، وأن يرحمها بلطفه وفيضه.

قال الامام الصَّادق عليه السَّلام لأبي سنان: «ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى، ولا ينجوا منها إلَّا من دعا بدعاء الغريق، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: يقول: (يا الله، يا رحمن، يا رحيم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك) قلت (يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول لك «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[1]

كذلك هنا الدعاء وحده لا ينفع لا بد وأن يكون معه العمل والحركة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ومن الأدعية المأثورة للأمام الحجة المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف الذي كثيرًا ما يردده المؤمنون دعاء (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة وليًا وحافظًا وقائدًا وناصرًا ودليلًا وعينًا حتَّى تسكنه أرضك طوعًا وتمتعه فيها طويلًا)

(١) كمال الدّين: ٢ / ٣٣٠ ت٣٣ ح٥٠.

وكانت سيدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السَّلام كثيرة الدّعاء فقد ورد عن الإمام الحسن عليه السَّلام قال: « **رأيت أمّي فاطمة عليها السَّلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى أتضح عمود الفجر وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدّعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها يا أماه، لم لا تدعون لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت يابني: الجار ثمَّ الدار**»(١)

ثم أنَّ الإمام الصَّادق عليه السَّلام يوصي زرارة بالدّوام على الدّعاء، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول إنّ للقائم غيبة قبل ان يقوم..... قال زرارة: فقلت: جعلت فداك فإن أدركت ذلك الزَّمان فأي شيء أعمل قال: يا زرارة، إن أدركت ذلك الزَّمان فأدم هذا الدّعاء: «**اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيَّك، اللّهمَّ عرّفني رسولك،فإن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللّهمَّ عرّفني حجتك فإن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني**»(٢).

---

(١) الشّيخ الصَّدوق، علل الشرَّائع: ١ / ١٨٢.

(٢) كمال الدين: ٢ ٣٢٢ ت٣٣ / ح٢٤.

الدّعـاء لـه آثـار وضعية ويغيّر الأمور ويسـهل العسـير ويقـرب البعيد بشرطـه وشروطـه وليـس نحـن الآن بصددهـا، وهـو سـلاح الأنبيـاء والمرسـلين والأوليـاء والصَّالحين، فهـذا نـوح عليـه السَّـلام يدعـو عـلى قومـه كـما ينقل لنـا القـرآن ذلـك قـال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾(١) فأجـاب الله دعاءه وأهلك الكافرين وابراهيم عليـه السَّـلام متّـى ما كانت لـه حاجة دعـا الله بهذا الاسـم ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٢) فاسـتجيبت لـه دعوته، وموسـى عليه السَّـلام لمـا قتـل القبطـي قـال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣) وزكريـا لمـا أراد الولد دعـا الله بهذا الدعاء ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(٤) فأجابـه الله تعـالى ووهـب لـه يحيـى، ونبينا محمـد صلّى الله عليـه وأله دعـا الله بهذا الدّعـاء ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾(٥) فأجابه الله تعالى وقال لـه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

---

(١) نوح: ٢٦.

(٢) الشعراء: ٨٣.

(٣) القصص: ١٦.

(٤) الأنبياء: ٨٦.

(٥) المؤمنون: ١١٨.

وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[1] وقـال تعـالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2] وقـال ﴿إِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3].

والحمد لله ربّ العالمين.

اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمد.

(١) الفتح: ٢.

(٢) غافر ٦٠

(٣) البقرة ١٨٦

المحتويات